وما دروا أنّ لها فى كل مفخرة آيات صدق لسان الدهر يرويها
فيا أبنة النيل يا نسل الأولى سبقوا الى الحضارة جدّى كى تعيديها
نهضتِ نهضة ليث الغاب ناشطة حتى تردى لمصر مجد ماضيها
هذى مجلتكِ الغراء قد طلعت على الجهالة فانجابت دياجيها
للعلم فيها ينابيع مفجرة وللنفوس دعامات تقويها
كأنها روضة فيحاء ناضرة روائح الند فاحت من أقاحيها

***

قل لى أيا نيل ماذا جدّ من خبر حتى تبدلت الدنيا وما فيها
أرى الطبيعة قد بانت محاسنها والزهر أينع فى مصر ووديها
والطير فوق غصون الورد صادحة وقد طربنا كثيراً من أغانيها
وبينما الناس والأفهام حائرة صاح البشير عجيباً من أقاصيها
فتاة مصر الفتاة اليوم قد نزعت ثوب القعود وجدت فى معاليها

منيره صبرى

الحياة !؟!

وقفت على شاطىء بحر الحياة، فاذا بمائه هائجاً، وموجه متلاطماً، يخبىء أسرار الحياة فى صدره العميق ... وتهيم على وجهه مخلوقات لا حصر لها ... منها القابض على ناصية القوة . والرازح تحت نير الظلم . والمارح فى بحابح الثروة . والهابط الى أودية الفقر ....

صمتّ أمام ذلك المنظر المهيب الذى راعتنى هيبته ..... ثم تطلعت فوق فرأيت النجوم، عالماً فوق عالم، وقد فصلتها عنا مسافات مترامية، فما

وجدتنى الآ ذرة صغيرة جداً فى رمال ذلك الشاطىء الهائل . . . . . وعندئذ شعرت بأن الحياة عظيمة . ففررت من الأغراض التافهة . وتاقت نفسى نحو اللانهاية . . . . .

هب النسيم وسطعت الشمس وصفا الجو فشعرت ببهجة الحياة . وارتفع قلبى بشكر المنعم بها . . . . ثم لبثت هنيهة ساكنة . فسمعت أصواتاً مختلفة تألفت منها ضجة هائلة للحياة هى خليط من أنين وضحك وصياح وقهقهة . . . . ومن أصوات هذا الخليط صوت منخفض يكاد لا يسمع هو وقع خطوات الزمن الرهيبة ! ! فذكرنى بذلك السؤال الدهرى . وما عتمت ان أخذت اكرره بأعلى صوتى قائلة : أيتها الحياة ! ما أنت ؟

وشخصت بنظرى نحو السماء متسائلة عما تحويه هذه الكلمة الصغيرة من المعانى الفخمة الكبيرة . فتبلل وجهى بدموع السرور اذ أحسست أننى على مقربة من أجوبة عظيمة بقدر عظم هذا السؤال . . . . حينئذٍ أخذت نفسى تملى علىّ ما كان يقوله القدماء من الشعراء والعلماء . . . . أولئك كانوا يقولون :

ان الحياة لغز يوحيه أبو الهول الجاثم على قارعة الطرق الى كل من يمر به . ويا ويل من لا يحاول حل هذا اللغز . . . . .

الحياة نسيج لحمته وسداه خيوط بيضاء وسوداء . وبيد كل ناسج خيط ذهبى من لدن رب الحياة الأعظم يهبه اياه ليزين به نسيجه ، فان نسج بقلب متأهب . وبد سريعة . وارادة قوية كان النسيج سهلاً وجميلاً . وأما ذلك الذى ينسج رغم ارادته فان تلك الخيوط الدقيقة قد تتعقد فى يده وتتقطع . ثم ينظر الى السماء فيلومها على ما فعلت يداه . . . . .

الحياة طريق يسير فيه كل حى مرة واحدة فقط . وقد يكون هذا الطريق منثوراً بأزهار الحب والعطف والتضحية . أو مبذورة فيه أشواك البغضاء والقسوة والأنانية التى تشوك أقدام الذين يطأونها . . . . .

الحياة أغنية ، كلماتها من تصنيف الإله مبدعها . والانسان ملحنها . وقد يضع لها نغمة عذبة مطربة تسر سامعيها ، وقد يضل فى تلحينها فتمجها الآذان . . . .

الحياة زهرة جميلة ذات رائحة عطرة تنعش كل من يقترب منها ، وقد تكون عشباً سماً تتأذى بكريه رائحته الخياشيم . . . . .

الحياة ظل يقع على طريق الأبدية فلا يلبث ان يتكوّن حتى يزول . . الحياة فقيقعة تنتفخ ثم تنفثئ . . . بل هى نوم مضطرب . . . وحلم يأتى ثم يطير ولا ندرى به . . . وسحابة صيف تمر ثم تقذفها الريح . . . . .

الحياة عجلة هائلة الكبر لا يتأتى لجميع ما فى العالم من قوات أن تقف دورانها ثانية واحدة . . . . .

وأخيراً الحياة عمل بلا فتور . وجهاد بلا تذمر . وعطاء بلا تردد . وتضحية بلا تندم . وتحصيل بلا تسفل . . . . .

***

تأملت هذه الأجوبة لسؤال الحياة العظيم . ثم اتخذت لى منها سلاحاً أتقلده ساعة النزول الى معتركها . . . . لبست ترس المعرفة وخوذة الايمان لأجاهد حتى أغلب . وأثابر الى أن أفوز . ولكى يقذف بى الى اتون التجارب فيشكل الله نفسى فى قالب الحياة الكاملة . . . . .

أنارت هذه التأملات بصيرتى فوجدت الحياة عن يمينى ، نحو يدى

اليمنى ... اليد القوية ... اليد العاملة ... فقبضت عليها بتلك اليد لأكيفها كيف أشاء .....

فالحياة لنا، تجدد فينا مع كل شروق شمس فماذا يعوزنا ؟

الحياة لكل من رضع لبان الانسانية ولكل من مرت بقلبه نقطة دم واحدة ....

الحياة لنا، فلنا نور نرسله الى الجالسين فى وادى ظل الموت ...

الحياة لنا، فلنا حق نتغلب به على القوة التى تهدد كيان العالم ...

الحياة لنا، فلنا حرية تغلق دونها أبواب السجون الحصينة . وتفك أمامها القيود المتينة ...

الحياة لنا، فأقدامنا ثابتة على صخر لا يتزعزع ...

الحياة لنا، فلنعشها للسماء التى تبتسم فوقنا وتنتظر ارواحنا ...

فلنعشها لكل من يعزنا ويثق بنا ...

فلنعشها للانسانية التى تجاهد وتئن أمامنا ...

فلنعشها لكل عمل مشروع يعيد لمصرنا مجدها الأثيل . ويجعل عالمنا كما كانت جنة عدن فى القديم ...

امل عبد المسيح